المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٢ شوال سنة ١٣٢٠

خزّان اصوان

من غرائب الخلق ان الحيوان الاعجم سبق الانسان الى كثير من الاعمال التي يظن انها لا تُعمَل الاَّ بعد الروية وامعان النظر. من ذلك اقامة السدود في مسايل الانهر لكي يرتفع ماؤها وتتكوَّن فيها بحيرات كبيرة فان الحيوان المعروف بكلب الماء يفعل ذلك الآن وقد كان يفعلهُ منذ العصور الخوالي يقرض سوق الاشجار باسنانهِ ويجرُّها الى مسيل الماء ويصنع منها سدًّا متينًا. والظاهر ان الناس انتبهوا منذ زمان طويل لما في اقامة السدود من النفع إما من تلقاء انفسهم او من مشاهدتهم سدود كلاب الماء فقد جاء في التوراة ان حزقيا ملك اليهود سدَّ مجرى نهر جيحون حتى ارتفع ماؤهُ واجراهُ الى اورشليم. وجاء في اخبار العرب ان اهالي اليمن بنوا سدًّا في وادي مأرب حتى اذا انحدرت السيول اجتمعت خلفهُ كالبحر وكانوا اذا ارادوا سقي اراضيهم فتحوا من ذلك السد على مقدار حاجتهم بابواب محكمة. ثم خرب هذا السدُّ في اوائل التاريخ المسيحي وسال الماء منهُ فخرَّب البلاد وهو المعروف بسيل العرم

وبعد عن الظن ان يكون المصريون قد اهملوا الاحتفاظ بما يزيد وقت الفيضان من ماء نيلهم ولم يفعلوا شيئًا لحفظهِ الى وقت الحاجة اليهِ. وتدلُّ التواريخ والآثار القديمة على انهم فعلوا ذلك من ايام الملك امنمهات الثالث الذي كان قبل المسيح بنحو الفين وخمس مئة سنة فكانوا يجرون بعض ماء الفيضان الى الفيوم ثم يردونهُ الى النيل وقت التجاريق الاَّ ان عملهم هذا لم يبقَ في الامكان لان الجانب الاكبر من الفيوم صار ارضًا زراعيَّة

ولا بدَّ من ان جمع ماء الفيضان خطر لكثيرين من ولاة مصر بعد ذلك فقد جاء في ترجمة ابن الهيثم ان الحاكم بامر الله العبيدي صاحب مصر الذي كان في اوائل القرن الخامس للهجرة

بلغهُ ان ابن الهيثم قال لو كنت في مصر لعملت في نيلها عملاً يحصل بهِ النفع في كل من حالتي الزيادة والنقصان فاستدعاهُ فسار الى مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائهِ وامر بانزالهِ واكرامهِ واقام عندهُ ريثما استراح من وعثاء السفر فطالبهُ بما وعد بهِ من امر النيل فسار ومعهُ جماعة من الصنَّاع ليستعين بهم على هندستهِ التي خطرت ببالهِ ولما سار في الاقليم بطولهِ ورأى آثار من تقدَّم من ساكنيهِ من الامم الخالية وهي غاية في احكام الصنعة وجودة الهندسة تحقق ان الذي يقصدهُ ليس بممكن فان من تقدموهُ لم يفتهم علم ما علمهُ ولو امكن لفعلوا. فانكسرت همتهُ عند ذلك ووقف خاطرهُ ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل (الشلال) فعاينهُ وباشرهُ واخبرهُ من جانبيهِ فوجد امرهُ لا ينطبق على مرادهِ وتحقق الخطأ في ما وعد بهِ وعاد خجلاً

وهذا الخاطر الذي خطر لابن الهيثم منذ تسع مئة سنة خطر لنابوليون بونابرت منذ مئة سنة وبعد نحو خمسين سنة تحققت بعض امانيهِ في القناطر الخيرية التي لا تزال الى الآن شاهدة بفضل محمد علي باشا الآمر بانشائها ومهارة موجل بك الذي وضع اساسها. وبعد مئة سنة تماماً تحققت كل امانيِ بونابرت وامانيِ الحاكم وابن الهيثم اذ وُضع اساس الخزان سنة ١٨٩٨ وكان بونابرت قد اشار بهِ سنة ١٧٩٨

وجاء بعد بونابرت كثيرون من رجال الهندسة واشاروا بانشاء الخزان في اماكن مختلفة فاشار لينان باشا بانشائهِ في جبل السلسلة واشار السر صموئيل بكر سنة ١٨٦٧ بانشائهِ في الشلال حيث انشيء الآن وعاد المسيو ده لاموت سنة ١٨٨٠ الى رأي لينان باشا واشار بانشائهِ في جبل السلسلة وخزن الماء فوقهُ وحسب نفقات انشائهِ اربعة ملايين من الجنيهات وقال انهُ يخزن فيهِ نحو ٦٠٠٠ مليون متر مكعب . وسنة ١٨٨٢ اشار المستر كوب هوبتهوس بحفر ترعة الى وادي الريَّان وجعلهِ بحيرة لخزن الماء كما كانت بحيرة الفيوم في الزمن القديم. وسنة ١٨٨٩ اشار المسيو برونت بعمل قناطر متوالية وحياض متتابعة في مجرى النيل لخزن ماء الفيضان وكتب تقريرًا مسهبًا في ذلك نشرناها في المقتطف في الجزء السابع والثامن من المجلد الرابع عشر وقدر النفقات اللازمة لذلك بنحو مليون ونصف من الجنيهات ونشرنا هناك انتقاد السر كولن متكريف عليهِ

وقرر رأي الحكومة المصرية سنة ١٨٩٠ على بناء سد او حبس في اسوان وقناطر في اسيوط لخزن ماء الفيضان وانتدبت المهندس ولككس لاجراء المباحث وتقدير النفقات اللازمة وكان ذلك بعد ان انتهت من تقوية القناطر الخيرية حتى صارت صالحة لما بنيت لهُ والغت السخرة التي اثقلت كاهل الفلاح المصري منذ العصور الخوالي ومنعت الشراقي التي كانت تتوالى على الصعيد

وصارت قادرة ان تلتقط الى ماء الفيضان لتحفظ بعضهُ وتوسّع بهِ نطاق الري الصيفي وتمنع تلف المزروعات الصيفيَّة اذا قلَّ الماء كثيرًا في زمن التحاريق وتحيي الكثير من الاراضي البور التي تصلح للزراعة لو اتاها ماء يرويها . هذه الاغراض الثلاثة نظرت اليها حينما عقدت نيتها على انشاء الخزان فانها تنتظر منهُ اولاً ان يتحوَّل بهِ اربع مئة الف فدان في المديريات الوسطى من ري الحياض او الري النيلي الى الري الصيفي ويحيا بهِ مئتا الف فدان في الفيوم والوجه البحري من الارض الموات التي لا تزرع الآن وتتضاعف بهِ مساحة الارض التي تروى الآن ريًّا صيفيًّا في الفيوم. وتزيد المياه في الصعيد جنوبي اسيوط حتى تروى مئتا الف فدان منهُ بالآلات الرافعة

وقد قال السر وليم ولككس في كتابهِ الذي وضعهُ عن الخزان " ان الري النيلي او ري الحياض الذي اعتمد عليهِ المصريون مدة سبعة آلاف سنة اخذ الآن ينقلب الى الري الصيفي اي الى زرع الارض مرتين او ثلاثًا في السنة بدلاً من زرعها مرةً واحدة ولكن الماء الذي يجري في النيل صيفًا لا يكفي للري الصيفي ولو كفى لزاد بهِ ايجار الاطيان سنويًّا ستة ملايين من الجنيهات" . فلا عجب اذا بذلت الحكومة المصرية النفس والنفيس لتحقيق هذه الامنيَّة امنيَّة محمد علي باشا جد العائلة الخديوية لكنها لا تتحقق بخزان اصوان وحدهُ بل لا بدَّ من اعمال اخرى تزيد نفقاتها على نفقاتهِ اضعافًا مضاعفة لان الستة الملايين من الجنيهات لا يمكن ان تنال من المليونين والنصف التي أُنفقت على انشاء خزان اصوان بل ان هذا الخزان في حالتهِ الحاضرة لا يفي بنصف الفائدة التي تنال منهُ لو أُنفق عليهِ مئتا الف جنيه أُخرى عُلِّيَ بها ستة امتار فوق علوهِ الحاضر ولو غمر الماء حينئذٍ مباني انس الوجود

ولما فوّض الامر الى السر وليم ولككس ليختار مكانًا يبني فيهِ هذا السدّ اختار شلال اصوان لان صخورهُ صمَّاء تصلح ان تكون اساسًا لهُ لكنهُ رأى ان يتَّبع في انشائهِ موقع الصخور وصلابتها فاشار بان يؤلف من ثلاثة سدود متصلة بعضها ببعض

ولما كان انشاء هذا الخزان من الاعمال الخطيرة جدًّا لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات ولانهُ اذا انبثق يومًا ما حدث منهُ سيل كسيل العرم خرَّب القطر المصري كلهُ استشارت الحكومة المصرية في امرهِ ثلاثة من كبار المهندسين وهم السر بنيامين باكر الانكليزي والمسيو بوله الفرنسوي والسنيور طوريشلي الايطالي فاتوا اصوان سنة ١٨٩٤ ونظروا في ما قرَّر عليهِ السر وليم ولككس وبحثوا بحثًا دقيقًا عن افضل الاماكن لبناء الخزان وعن الاشكال التي يجب ان تُتَّبع في انشائهِ واخيرًا قرَّ قرار المهندسين الانكليزي والايطالي على انشائهِ في اصوان

وعلى ان يكون سدًّا واحدًا مستقيمًا لا ثلاثة سدود منحنية كما اشار ولككس حاسبين ان السد الواحد اجمل منظرًا واسهل انشاء واشد مقاومة للحر والبرد

والسدُّ يقطع النيل من الشرق الى الغرب تراهُ عن بعد قليل فلا تحسبهُ شيئًا كبيرًا . كذا حال الاهرام اذا رأيتها اول مرةٍ قبلما تصل الى سفحها ولكنك اذا دنوت منهُ ورأيتهُ قائمًا امامك كالحصن الحصين وبمتد ويستدقُّ الى ان يتلاشى في افصى بعدهِ هالك امرهُ وتجلَّت لك عظمتهُ ثم اذا وصلت اليهِ ومشيت على ظهرهِ ورأيتهُ ينتشر امامك كالسجل كأن لهُ اولاً من غير آخر زادت عظمتهُ في عينيك وفعًا . حتى اذا اطللتَ عن شرفتهِ الجنوبيَّة ورأيت البحيرة التي غطَّى بها جنادل النيل واعلاها حتى طمرت قرى البرابرة ووصلت الى رؤوس نخيلهم واشجارهم وعلت على جزيرة انس الوجود حتى بلغت ارض هيكلها فوقف فيها كأنهُ نابت من الماء والسفن البخارية والزوارق الشراعيَّة وقوارب البرابرة تجري على سطحها كأنها الطيور سابحة في جلد السماء ثم اذا اطللت من الشرفة الشمالية فرأيت ميازيب الماء تنصبُّ من عيون السدّ كذوب النضار فلا تكاد تبلغ الصخور التي تحتها حتى ترغي وتزبد ويزحم بعضها بعضًا فتململ وتجعَّد كاذيال خوْد من دمقسٍ مفتَّل ويقف ماؤها هنيهة حيران ذاهلاً يحاول الارتداد على عقبيهِ لكن قوة الجذب تتغلب عليهِ فيجري بين هاتيك الجنادل على عادتهِ التي جرى عليها منذ العصور الخوالي — اذا رأيت ذلك وامعنت نظرك في بناء السد واختيار الشكل الهرمي المائل لجدرانهِ وحجر الغرانيت وطين السمنت لبنيانهِ حتى يكون واسع القاعدة متين الاركان لا يتزحزح ولا يتقلقل يرسخ مدى العصور التالية كما رسخت الاهرام مدى العصور الخالية — اذا رأيت ذلك كلهُ وقفت مذهولاً بين جمال ما ترى وجلالهِ يطربك ذاك ويدهشك هذا. ثم اذا وصلت الى الطرف الغربي ورأيت الترعة (الهويس) التي تجري فيها السفن وعمقها الهائل وما اقيم فيها من الابواب العظيمة تجلَّى لك ارتفاع السد من جديد لان الماء يغطي جانبهُ الجنوبي فلا يظهر عمقهُ والشكل المائل في جانبهِ الشمالي يقلِّص ارتفاعهُ لكن جداري الترعة لا يحجبان شيئًا عن النظر حتى لقد كاد يصيبنا الدوار من النظر الى عمقها الهائل . اما الابواب التي تسد عيون السد ومجرى الترعة فيضيق المقام عن وصفها الآن فنرجئهُ الى فرصة اخرى

وطول السد من الشرق الى الغرب الفا متر اربع مئة متر منها في الجهة الشرقية خالية من العيون لان قاع النيل مرتفع هناك وفي ما بقي منها مئة وثمانون عينًا مختلفة الاوضاع والاقدار على حسب ما في قاع النيل من الارتفاع والانخفاض. وسعة العين نحو ثلاثة امتار من الامام ومتران من الوراء وبين العين والاخرى بغلة عرضها خمسة امتار وبين كل عشر عيون دعامة بارزة

من سطح الوجه مترًا. والترعة الغربيَّة عرضها تسعة امتار ونصف متر وفيها ثلاثة احواض الواحد فوق الآخر لمرور السفن صعودًا ونزولاً كما هو شائع في الاهوسة طول الحوض منها نحو ثمانين مترًا

وسمك السد من اسفله ثلاثون مترًا ثم يستدقُّ رويدًا رويدًا الى ان يبلغ ارتفاعهُ نحو ١٨ مترًا ثم يصير عموديًّا ويبلغ معظم ارتفاعهِ عن سطح الماء وقت التخاريق ٢٣ مترًا وهو مبنيٌّ بحجارة كبيرة من الغرانيت غير منحوتة من ظاهرها الاَّ ما بُطنت بهِ العيون وبنيت بهِ الذروة فانهُ منحوت من جوانبهِ كلها وبعض العيون مبطن بالحديد

ووضع الحجر الاول من بناء هذا السد في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٩ وضعهُ دوق كنوت ووضعت زوجتهُ الحجر الاخير منهُ الآن باحتفال عظيم كما سيجيء فتم بناؤهُ في اقل من اربع سنوات وهي دون ما قُدِّر لهُ مع ان الصخر الذي بني عليهِ لم يوجد صلبًا كما ظنَّ اولاً فعُمِّق اساسهُ اكثر مما قدِّر لهُ وزادت نفقاتهُ بذلك كثيرًا

وقد دعت الحكومة المصرية وكلاء الدول وجمهورًا من اعيان النزلاء والوطنيين لحضور هذا الاحتفال وجاءهُ دوق كنوت اخو ملك الانكليز والدوقة زوجتهُ وجمهور من كبراء الامة الانكليزية فساووا جميعًا برًّا وبحرًا الى مدينة اصوان يتقدمهم الجناب الخديوي ونظار حكومتهِ ووكلاء النظارات

ولما حان وقت الاحتفال في العاشر من دسمبر تسابق المدعوون الى القطرات التي تنقلهم من اصوان الى الخزان في المواعيد المضروبة لهم وكان بعضهم يصل الى القطار قبل قيامهِ بربع ساعة فلا يجد لهُ مكانًا يجلس فيهِ فيقف بين المركبات وقد رأينا سيدات وقفنَ مسافة الطريق كلها من اصوان الى الشلال والبعض مشوا على طول السدّ ولعلَّ سبب ذلك ان كثيرين من الذين معهم تذاكر للدخول فقط وميعاد قيامهم الى الخزان قبيل الظهر تأخروا الى القطار التالي فازدحم بهم ولم تكفِ المركبات لنقلهم على السد فان سكة الحديد تصل الى الطرف الشرقي منهُ وموقع الاحتفال عند الطرف الغربي فينقل المدعوون اليهِ بمركبات تجرُّ باليد . ومكان الاحتفال ساحة كبيرة فيها ثلاثة اقسام مفصولة بعضها عن بعض بحواجز الخارجي منها للذين أُذن لهم في الدخول والمتوسط للمدعوين والامامي للجناب الخديوي والدوق والدوقة والبرنسات ومختار باشا الغازي ونظار الحكومة المصرية وقناصل الدول وكان فيهِ خمس كراسي كبيرة مذهبة للجناب الخديوي والدوق والدوقة وقنصل المانيا بالنيابة عن امبراطورها وقنصل ايطاليا بالنيابة عن ملكها لكنهم لم يجلسوا عليها وكان الناس يتوقعون جلوسهم لانهُ شاع انهُ وقع خلاف في كيف يجلسون فان كانت الاشاعة صحيحة فوقوفهم انقذهم من هذا المشكل

وقد كان الفوز لاصحاب الجرائد فان ادارة المطبوعات اقامت لهم دكة عالية امام الدكة التي وقف فيها الجناب الخديوي تماماً وتبعد عنها عرض السد لا غير بحيث يسمعون كل ما يقال ويرون كل ما يفعل

وفي الساعة الثالثة وصل القطار الخديوي فحيي باطلاق المدافع ونزل من فيهِ الى المركبات التي تجرُّ باليد وكان الجناب الخديوي في الثانية منها والدوق عن يمينهِ وفي الثالثة البرنس محمد علي والدوقة عن يمينهِ ثم حضرات الامراء والنظار وحاشية الدوق وكان الجناب الخديوي وسمو الدوق ودولة مختار باشا الغازي بالحلل العسكرية والنياشين والبرنسات والنظار باللباس الاسود الرسمي وكذلك قناصل الدول . واقام الجناب الخديوي برهة يسلم على نساء القناصل مصافحةً ثم وقف عطوفة فخري باشا ناظر الاشغال بين يديهِ وتلا خطبة مسهبة باللغة الفرنسوية ذكر فيها الحاجة التي دعت الى انشاء هذا الخزان في اصوان وانشاء السد في اسيوط ومدح المهندسين الذين هندسوها والمقاولين الذين بنوها وهذا نص ترجمتها العربية

"مولاي : إن ابهى ما افتخر بهِ من اعمال وظيفتي ان يُتاح لي منتهى الشرف بدعوة جنابكم الفخيم الى الإشراف بنظرهِ الكريم على الاحتفالات التي تقيمها نظارة الاشغال العمومية تتويجاً لما تواليهِ من الاعمال الكبرى ذات الفوائد العميمة . ومنها البنيان الذي اكملتْ تشييدهُ بالامس واعدَّتهُ لحفظ مآثر الاقدمين في العلوم والصنائع وما ابقوهُ لنا من الآثار والمخلفات . اما عملها في يومنا هذا فما يرسخ في الاذهان على ممرّ الايام والازمان . وها هو يتمثَّل امام جنابكم السامي في منظرهِ الجسيم ومرآهُ المهيب دِعامةً من الصوان وطيدة الاركان من جملة الدعائم التي قد تأسست عليها عظمة مصر وقامت بها رفاهة احوالها

"إن فيضان النيل السعيد في كل عام هو قوام الحياة في هذه الديار وعليهِ مدار الخصب والعمران فلا غرو ان كانت المصلحة الواجبة التقديم في هذه البلاد تقتضي حصر العناية في توسيع نطاقهِ وتعميم خيراتهِ وذلك بتعديل جريانهِ المستمرّ وتنظيم اندفاقهِ في البحر حتى يستطيل زمان الانتفاع بخيراتهِ وتتسع دائرة الاراضي التي تستفيد من بركاتهِ

"كانت هذه المقاصد يا مولاي معظماً لانظار رجال حكومتكم السنية كما هو الواجب على القائمين بالشؤون العامة من الاستنارة بنبراس الحكمة والصواب فقرنوا المباحث بالتجارب واستخدموا كلَّ الوسائل لتذليل المصاعب وواصلوا الاجتهاد بالليل والنهار لتحقيق هذه الاماني الكبار حتى استقرَّ رأيهم على انشاء خزان عظيم يكون موقعهُ على الشلال الاول في اقصى الصعيد وان يقيموا على مقربة من اسيوط قنطرة فوق النيل والغرض من الخزان حبس المياه

بكميات فائقة وراء جدرانه المتينة واسواره المنيعة واما القنطرة ففائدتها حفظ مستوى النهر في درجة تعود بالنفع على الري وتصريف مياهه على قدر معلوم في وقت الحاجة وعلى حسب اللزوم

"كانت البداية في اقامة هذين العملين الجليلين في سنة ١٨٩٨ وقد بلغ كل منهما حدّ الكمال في هذه الايام بل ان قنطرة اسيوط قد فازت لدى الامتحان فوزاً يفوق المأمول واتت بكل الثمرات المنتظرة حينما جاء الفيضان منحطاً عن العادة في هذا العام . وفي هذه اللحظة ستصدر اشارة سامية يعقبها وضع حجر الختام ايذاناً بتمام نعمة الكمال

"على ان نيل المزايا العديدة المترتبة على هذا المشروع الجسيم يقتضي العناية بجملة اعمال تتميمية هي من الاهمية بمكان مثل حفر الترع وتوسيعها وبناء قناطر الموازنة والمصارف ونحوها. وقد شرعت النظارة في تنفيذ بعضها وفي تقرير الباقي منها في الجهات التي ستدعو الحال لتحويل طريقة الري فيها او تحسينها عن ذي قبل

"ان استدامة الري في الوجه البحري وتوسيع نطاقه في الاقاليم الوسطى وزيادة التسهيل في استدرار فوائده في ارض الصعيد تلك هي الاماني الجميلة التي سيكون تحقيقها بعون مفيض الخيرات والبركات موجباً لابتهاج قلوب الزرّاع واستمرار حركة التقدم والعمران وتوالي النعم على هذه البلاد

"هذا اليوم السعيد الذي تمّ فيه افتتاح الخزان في اصوان بين يدي جنابكم السامي وبحضرة اضيافكم الفخام وعلى مشهد من هذا الجم الغفير من اكابر القوم واماثل الاعيان سيكون له الاثر المشهود والذكر المحمود ويسطّره تاريخ مصر الحديث بحروف من النور فخراً لكم على مدى الشهور والدهور

"على ان الاسراع بالتعجيل في إتمام هذا الصنيع الجليل لا يُنسينا المصاعب المالية والعوائق الفنية التي اعترضتنا في سبيل تمهيد الاعمال بطريقة منطبقة على العقل والعرفان والتي صادفها العمال عند اقامة بنيانه على هذا المثال الذي هو منتهى الكمال . ولا ينسينا ايضاً ما بذله القائمون به من الهمة الفائقة والمواظبة الدائمة حتى تغلبوا على الصعوبات وذللوا كل العقبات

"هذا المنظر الباهر الذي تمثل الآن بضخامته وفخامته امام الابصار قد تحملت بلادكم العزيزة في ايامكم السعيدة ما استوجبهُ من النفقات الطائلة بمعاونة اساطين العلم والحكمة وجهابذة الفن والعرفان . لذلك استميح الاذن الشريف في هذا المقام لتوفية كل ذي حق حقهُ من الثناء والاطراء

"فلقد كانت اليد البيضاء في اقامة هذا الاثر الماثل بل المجد الخالد لحضرة الماليين

البصيرين والسياسيين الخبيرين ألا وهما جناب السير إلوين بالمر المستشار المالي السابق وخليفتهُ في وظيفتهِ جناب السير إلدون غورست

" وهذا العمل هو على الاخص مأثرة من المآثر العديدة التي لجناب السير ويليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية المشتهر بمعارفهِ الواسعة واخلاصهِ سيفي كل اعمالهِ مع العزيمة الماضية التي لا يعتريها كلال ولا ملال

"ولقد لقيت" هذه العنايات المتناهية في الاقدام اكبر عضد واقوى نصير لدى صندوق الدين العمومي عند ما اقتضت الحال فان حضرات الاعضاء المدبرين لهُ لم يبخلوا قط بحسن موازرتهم الفعالة كلما دعت الضرورة لاتمام شيء من المشروعات التي تعود بالمنافع الكبار على هذه الديار

" ومن العدل ان نشرك مع هؤلاء العاملين في هذا الشكر الصادق والثناء الواجب اكابر المعينين لهم في انجاز هذا العمل العظيم . واعني بهم جناب السير بنيامين يكر الذي لهُ المكانة العليا في عالم المهندسين فقد كان لخبرتهِ التامة ومعارفهِ العامة الفضل الاكبر في هذه المشروعات قبل تقريرها وفي اثناء انجازها وكذلك الطيب الذكر المستر واسون اول مدير للخزانات وقد اخترمتهُ يد المنون في عام ١٩٠٠ فكان لنعيهِ تأثير كبير في القلوب ثم جناب المستر وب مدير عموم الخزانات الآن فانهُ قام بما عهد اليهِ من المهام الجسام خير قيام ثم المفتشين البارعين وهم جناب المستر موريس فتز موريس فجناب المستر ماي بخزان اصوان وجناب المستر ستفنس بقنطرة الحجز في اسيوط وكافة المهندسين المؤتمرين باوامرهم فكلهم قد ادى الواجب عليهِ بتمام الغيرة والدراية والاهتمام . وكذلك جناب الكلي الاحترام السير ارنست كاسل المتمول البارع الهمام . فلقد تسنى للخزينة المصرية باتفاقها معهُ ان تفي بالنفقات الطائلة التي استوجبتها هذه الاعمال في بدايتها ثم جناب المستر وبلكوكس المهندس الطائر الصيت الذي قام بالمباحث الابتدائية وكانت مشروعاتهُ وتصميماتهُ اساساً لتشييد هذا البنيان ثم حضرات المستر ستوكس والمستر تيبر اللذين ابتكرا الاسلوب البديع لعمل الابواب الحديدية لخزان اصوان ثم جناب السير جون ايرد المقاول المشهور ومعاونيهِ جناب المستر بلو والمستر مالك لور فانهم قد اكملوا الخزان في اصوان وقنطرة الحجز في اسيوط قبل الميعاد المضروب لهم بزمان طويل ليكون هذان العملان الفخمان العائدان على مصر باكبر المنافع واعظم المزايا شاهدين لهم بنشاطهم العجيب ومهارتهم التي ليس لها نظير

" تخليق بمصر ان تنقش هذه الاسماء على صفحات صدرها تخليدًا لذكرها "

فاجابهُ الجناب العالي الخديوي بخطبة فرنسوية وجيزة قال فيها ما ترجمتهُ

" يا سعادة الناظر اعدُّ من سعدي ان اشرف على هذا الاحتفال الفخيم الذي تدعوني اليهِ وان يحضرهُ معي ضيوفي الاكابر الكرام وجماعة الوجوه وذوو الحيثيات ممن حولي

" ان هذا العمل الكبير الذي نحن في موقف الاعجاب بعظمتهِ اليوم ألا وهو خزان اصوان وما يتبعهُ من قناطر اسيوط هو لا شك من جلائل الاعمال النافعة التي تمت حتى الآن في مصلحة مصر وخيرها واني لارجو وآمل ان سيعود عليها بصنوف الخيرات وان القرن العشرين سيتحلى بهِ في جملة مفاخرهِ

" على ان هذا الامل يبعث في نفسي السيرور و يدعوني الى ان اقدم لكم يا سعادة الناظر عظيم شكراني وان اثني كذلك على اعوانكم الذين امتدحتم كفاءتهم بالحق ونوهتم بجليل مساعدتهم لكم على اتمام هذا العمل الخالد الذكر حتى قبل الميعاد المقرر

" وانهُ ليسرني كثيرًا ان ارى حكومتي تتبع اعز رغائبي واخص اميالي فتبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد

" والآن اذكر بارتياح لصاحب السمو الملكي الدوق دي كونوت انهُ تفضل من قبل فوضع الحجر الاول من اساس الخزان واتقدم اليوم الى صاحبة السمو الملكي الدوقة قرينتهِ راجيًا ان تتكرم بوضع الحجر الاخير من بنيانهِ "

ثم تكلم سمو الدوق بالانكليزيَّة فقال ما ترجمتهُ

" انني شاعر من صميم الفؤاد بجميل سموكم العظيم حيث دعوتموني لاشهد الاحتفال باتمام هذا العمل التاريخي العظيم الشان الذي يعدُّ الى ابد الدهر من اعظم عظائم هذا العصر وسيكون ذا منفعة لا تقدر قيمتها في اسعاد مصر

" ومما يزيدني سرورًا بحضور هذا الافتتاح اني وضعت اول حجر في اساسهِ منذ اقل من اربع سنوات . واستميحكم بتهنئة سعادة فخري باشا ناظر الاشغال العمومية على اتمام هذا العمل على ما يرام واخص بالذكر في الشكر السر وليم جارستن والموظفين الذين تحت يدهِ . ولا يسعنا الاَّ ان نعترف بالخدمات الجليلة التي قام بها في ري مصر وما نتج عنها من النتائج البادية في كل انحاء البلاد واقدم ايضًا تهانئي القلبيَّة الى السر بنيامين باكر المهندس المستشار والسر جون أيرد المقاول بالنجاح العظيم الذي كللت بهِ مساعيهما التي لم تعرف تعبًا ولا كللاً في اتمام هذا العمل العظيم

" ويسرني ان ارى وكلاء الدول حاضرين هنا . نعم ان هذا العمل يعد اولاً انكليزيًا مصريًا ولكني عالم بالسخاء الحميد الذي ابداهُ صندوق الدين وهو مجلس دولي فسدَّ جانبًا عظيمًا من المال اللازم لهُ . هذا واعود فاشكر سموكم على دعوتكم لي الى الحضور في هذا اليوم وعلى

طلبكم من دوقة كنوت ان تضع الحجر الاخير"

وكان الجناب الخديوي ينظر اليها شاكراً ثم صافحها حين اتمّ الخطبة مصافحة طويلة والتفت الى الدوقة فتقدمت واخذت قليلاً من الطين على رأس ملعقة بناء (مسطرين) من الفضة ووضعتهُ تحت حجر من الغرانيت الاحمر كان مرفوعاً بحبال وبكر وبهِ تنتهي الذروة الشمالية من طرفها الغربي . وأُنزل الحجر الى مكانهِ فطرقتهُ بمطرقة صغيرة وهتف حينئذٍ السرجون ايرد مقاول الخزان ثلاثاً فردد بعض الحضور هتافهُ

والحجر مكعب طول كل ضلع من اضلاعهِ نحو متر وعلى وجههِ الغربي هذه الكتابة

This stone was laid to complete the dam by H. R. H. the Duchess of Connaught, 10th December 1902, in the 10th year of the reign of H. H. Abbass Helmy, Khedive.

وترجمتها "وضعت دوقة كنوت هذا الحجر اتماماً للسد في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ في السنة العاشرة من حكم سمو الخديوي عباس حلمي"

وتقدم المستر ستوكس مهندس صانعي بوابات الحديد وسلم الجناب الخديوي مفتاحاً من الفضة على رسم مفتاح النيل عند المصريين القدماء وقد كتب عليهِ بالعربية والانكليزية انهُ لفتح العيون الاولى من الخزان يفتحها بهِ سمو الخديوي عباس حلمي في السنة العاشرة من حكمهِ (والحق انها السنة الحادية عشرة) في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ اهداهُ اليهِ صانعو ابواب العيون والهويس . فاستلم المفتاح ووقف امام جسم في شكل هرم مقطوع عليهِ قنديلان كهربائيان وازرار كهربائية ورسم مصري فحالما وضع المفتاح في مكانهِ انار القنديلان الكهربائيان وانفتحت خمس عيون من عيون الخزان المئة والثانين فتدفق ماء النيل منها وكان الضغط على هذه الابواب يساوي اربعين طنًّا فانفتحت بقوة الكهربائية في طرفة عين. وسار الجناب الخديوي بعد ذلك الى القفل الذي يقفل اعلى ابواب الهويس وهو دكة كبيرة من الحديد قائمة على بكر فوقف عليها هو والدوق والدوقة والبرنسات واللورد كرومر وكونتس كرومر فجرت بهم الى الجهة الغربية وارتفع من تحتها عتب كبير من الحديد وجرى غلق الباب الى خرق في الجدار وانفتح جانبا جسر جنوبي الباب فجرى الماء وملأ ذلك الجزء من الهويس وكان فيهِ زورقان وطنيان شراعيان فمخرا فيهِ وقطعا في جريهما شريطاً من الحرير مربوطاً في الهويس من جانب الى آخر وقطعهما لهُ علامة فتح الهويس . وعادت الدكة الى مكانها الاول وعاد كل شيء الى وضعهِ وحينئذٍ اخذ الجناب الخديوي يوزع النياشين التي انعم بها على القائمين بهذا العمل ونزل الدوق والدوقة واللورد كرومر والكونتس زوجتهُ والذين كان الدوق عازماً ان يسلمهم

النياشين التي انعم بها عليهم جلالة ملك الانكليز وساروا في زورق بخاري الى يخت نظارة الاشغال فاعطاهم اياها فيهِ. وعاد الجناب العالي وحضرات البرنسات والنظار بالمركبات الى سكة الحديد وتبعهم المدعوون بما يحملهُ المقام من الانتظام

ويقال جملة ان الاحتفال كان عظيماً وقوراً كما هو العمل الذي أُريد فتحهُ بهِ. لا زالت الاعمال النافعة تتوالى في عهد الجناب العالي والوزارة الفهمية الحكيمة التي انتفع القطر المصري في عهدها اعظم نفع قصر عنهُ ملوك مصر السالفين

ومما يحسن سوقهُ هنا انهُ مع كثرة الخلق وشدة الازدحام لم يحدث اقل حادث مكدر لا في سكة الحديد ولا حيث اجتمع الناس مراراً

ولو سألت جمهور الناس عمَّن لهُ الفضل في انشاء هذا الخزان ويحقُّ لهُ ان يكون اول من يدعى لافتتاحهِ لاجابوك على الفور انهم اهالي البلاد الذين ستدفع نفقات انشائهِ من اموالهم فكان يجب ان يدعى وجهاؤهم وكبراء المزارعين منهم قبل غيرهم من الوطنيين والاجانب. وهذا الرأي شائع سمعناهُ من كثيرين وانا نعجب كيف يغفل الذين ارتأوهُ عن ان كل ما يدفع من نفقات الخزان انما يدفع من الخزان نفسهِ لانهُ هو سيزيد ماء الري حتى يزيد بهِ ريع الارض وهذه الزيادة السنوية تفي في سنتين او ثلاث بكل ما أُنفق عليهِ ثم تصير ربحاً لاهالي القطر لم يتعبوا في جلبهِ بل كان بعضهم من اشد المقاومين لهُ واما الذين تعبوا وكان لهم القول والعمل فيهِ فهم

اولاً المهندسون الذين وجدوا بعلمهم ان انشاء هذا الخزان من الممكنات ورسموا كيفية انشائهِ حتى يكون ثابتاً متيناً يجمع بهِ من الماء ما تمسُّ اليهِ الحاجة وهم كثار عرف اولو الامر هنا وفي انكلترا فضلهم فمنحوهم الرتب والنياشين

وثانياً المثري السر ارنست كاسل الذي جاد بالمال الكثير لانشاء الخزان واثقاً انهُ يسترد مالهُ مع ربا هُ القانوني فلهُ علينا سكان هذا القطر فضل من مدَّنا بمليونين من الجنيهات نكتسب منهما مليوناً كل سنة. وشأننا معهُ شأن من يمتلك اطياناً غير مصلحة وليس عندهُ مال يصلحها بهِ ويشتري لها المواشي فيأتي رجل اجنبي ويقول ها صندوقي خذ منهُ كل ما تحتاج اليهِ من المال لاصلاح ارضك ثم اوفني اياهُ اقساطاً سنوية مع الربا القانوني فيأخذ منهُ الف جنيه يصلح بها ارضهُ فيزيد ريعها خمس مئة جنيه في السنة

والفضل الثالث والاكبر للذين استخدموا ذلك العلم الهندسي وهذا الكرم الحاتمي لانفع عمل عُمل في هذا العصر وهم ولاة الامر نخص منهم الجناب الخديوي ونظارهُ ومستشار المالية ورجل الاصلاح صاحب الهمة التي لا تبارى والعزيمة التي تستسهل كل صعب جناب اللورد كرومر

فان الحكومة الخديوية داست على المصاعب واقدمت على هذا العمل العظيم اقدام واثق بالنجاح وجناب اللورد كانت تقوم لهُ الصعوبة بعد الصعوبة من عظماء الآثار ومن طبيعة الصخر الذي اقيم اساس الخزان فيهِ فيرمقها بعين المستخف ولو تضاعفت بها النفقات ليقينهِ الثابت ان الخزان نافع جداً ويبقى نفعهُ عظيماً لهذا القطر مهما اقتضى من النفقات . رجل مثل هذا يثق بهِ المهندسون والماليون يستطيع ما لا يستطيعهُ غيرهُ. فان انصفنا ونسبنا كل فضل الى ذويهِ وجب ان نعزو الفضل في انشاء الخزان الى رجال الادارة ورجال المال ورجال العلم على ما تقدَّم بيانهُ اما قناطر اسيوط فسيرد وصفها بالتفصيل في فرصة اخرى مع ما يلزم من الصور لايضاحهِ

المؤتمر الطبي

شهد القطر المصري في الشهر الماضي (دسمبر) مشهدين عظيمين الاحتفال بافتتاح خزان اصوان وقناطر اسيوط والاحتفال باول مؤتمر طبي شهدتهُ البلاد الشرقية . اما افتتاح الخزان فقد وصفناهُ بالاسهاب في اول هذا الجزء واما المؤتمر الطبي فلا تنحصر فائدتهُ في هذا القطر كالخزان بل تتناول الاقطار الحارة كلها وسائر البلدان التي تستفيد من اتساع المعارف الطبيَّة. وقد كان مثل احفل المؤتمرات افتتحهُ الجناب الخديوي في الاوبرا الخديوية في التاسع عشر من دسمبر وحضرهُ جمهور غفير من اطباء هذا القطر والاقطار الاوربية وعدد كبير من المدعوين وارباب الصحافة. فلم تأزف الساعة العاشرة صباحاً حتى ازدحمت فسحة الاوبرا وامتلأت لوجاتها بالمدعوين والمدعوات . وجلس الدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس المؤتمر وعن يمينهِ الدكتور اياتا باشا الرئيس الاكرامي وعن يسارهِ السر هوراس بنشنج بك مدير الصحة والدكتور فورونوف سكرتير المؤتمر العام وحولهم اعضاء المؤتمر والمندوبون الطبيون من قبل الدول والمدارس الطبيَّة الاجنبية وغيرهم من مدعوي الاجانب واما مهم جمهور المدعوين وكان المندوبون واعضاء المؤتمر بالملابس السوداء والنياشين والعسكريون منهم بالحلل الرسميَّة

وفي الساعة العاشرة اقبل سمو الخديوي بموكبهِ ودخل المحل المعد لهُ ووقف حضرات النظار عن يمينهِ ويسارهِ وكبار رجال المعيَّة وراءهُ ثم قرأ سموهُ بالفرنسويَّة الخطبة الافتتاحيَّة بصوت صريح ولفظ فصيح وهذه ترجمها

"ايها السادة

"اني بمزيد الرضى ارحّب بكم واؤكد لكم سروري باجتماعكم. ثم اني اعرب عن شكري